



# الأدب الساخر

## آخر الملاحظات لفقهة مديدة مغمسة بالألم

تفنن العديد من الأدباء والكتاب والشعراء - في كل زمان وبيئة - في إنتاج الأدب الساخر، هذا اللون الأدبي المتفرد شعراً أو قصاً أو نصاً مسرحياً أو مقالاً أو خاطرة أو غيرها. وقد صارت للأدب الساخر قاعدة قراء ومهتمين تتسع يوماً إثر يوم، بعد أن تموضع في مكانة بارزة بين فنون الأدب وأغراضه المختلفة.

وفي ديوان الشعر العربي نأذج شتى من القصيدة الساخرة، ولعل الحطيطنة هو أبرز أصحاب هذا الفن في الشعر العربي القديم، واعتبره بعض رائد السخرية في الشعر العربي. غير أن هذا الفن ازدهر - فيما بعد - على أيدي جرير والفرزدق والأخطل وأبي نواس وأبي دلامة وبشار بن بزد، وقد عد بعض هذا الأخير مؤسس المدرسة الشعرية الساخرة، ويرى آخرون أن المتنبي هو سيّد الشعر والشعراء بلا منازع بما فيه الساخر وأهله.

ويخطئ من يقرن السخرية في الأدب وسائر الفنون - وفنون القول تحديداً - بالضحك أو الملهة، في ما

محاضرة لرجل سياسي في توصيل المعنى وتأثيره على أصحاب القرار، وهو متنفس للمواطن الذي لم يستطع إيصال رسالته إلى من يملك القرار.

وأما الشعر الفكاهي فقد انتشر في الجزيرة العربية بكثرة حتى عهد قريب، وغالباً ما يكون مساجلة بين صديقين أو وصف شيء بصورة هزلية، ويكون القصد هو المزح والسامرة، وربما يعود انحسار الشعر الفكاهي لتهميش الشعر في المجالس والخوض في أمور أخرى لتغير نمط الحياة؛ فهذا النوع من الشعر مجاله المجالس وليس النشر الإعلامي.

الأدب الساخر تطوي تحته أنواع؛ فهناك الشعر الساخر، والقصّة الساخرة، والمقالة الصحفية الساخرة، وكلها طرائق متعددة لقول ما يشغل بال الكاتب في الحياة من حوله، ليتناول التناقضات في المجتمع، والممارسات

السلبية، والأحداث والشخصيات السياسية، والمشكلات الاجتماعية وحتى النفسية والمادية، وغيرها من المواضيع التي لا تنتهي.

فالأدب الساخر يُحصن الروح الإنسانية من صمتها وخوفها وترددها في التعبير والتضريح وإثارة الأسئلة، حتى لكأنه آخر ملاذات الكائن من اغتيال كينونته، بل.. نافذته على فهمة مديدة مغمسة بالألم تسخر لتتهجو الطغاة والجلادين وكتبه التقارير وقتلة الحب والجمال وضحكات الأمل.

ويصنف الأدب الساخر على أنه أعرق أسلحة البشر وأطفها، فالكلمة الساخرة سلاح الفقير على الغني والضعيف على القوي، وسلاح المظلوم على الظالم، والنص الساخر هو الخلطة السريّة بين اللغة والمفردة والحكاية الشعبية واصطياد

المفارقة في المشهد والخبر و«الحدوتة»، سواءً أكان هذا النص طرفة شفهيّة أم نصّاً ساخرًا مكتوبًا.

## الكلمة الساخرة احتلت مساحة في الأدب العربي الفصيح والشعبي بجميع لهجاته

والأدب الساخر يُضحكنا أحياناً، لكنه ما يلبث أن يُجزّنا، فالسخرية الحزينة هي أشدها مرارة، لأنها تعبّر عن الواقع المرير بالضحكة وأحياناً بالضحكة المرة، الناتجة عن المعاناة والإحباط.